

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السابع والثلاثون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يقول شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] قال:

باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول قال الله، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعمر).

وقال الإمام أحمد ابن حنبل: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله تعالى يقول:

{ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)

عن عدي ابن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله }

فقلت: له أنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم) رواه أحمد والترمذي وحسنه

[الشرح]: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد،

وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: -

◆ فقد قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - (باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً)

العلماء والأمرء: طائفتان يصلح بصلاحهم الناس ويفسد بفسادهم الناس وذلك لما لهما من النفوذ والتأثير،

ومنزلة العلماء في الشريعة منزلة عالية رفيعة: فإن هم وفوا بالميثاق الذي أمرهم الله به وأخذهم عليه نفع الله

تعالى بهم نفعاً عظيماً يقول الله - عز وجل - : { وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه

{ فالواجب على أهل العلم بيانه للناس وعدم كتمانته،

كما أن الأمراء أيضا لهم منزلة عالية: في ضبط الأمور وانتظام أحوال البلاد والعباد ودفع الفساد فإذا صلحوا أصلح الله تعالى بهم شيئا عظيما حتى قال بعض الصحابة إن الله ليذع بالسلطان ما لا يذع بالقرآن، وقال الإمام أحمد - رحمه الله - لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان،

وقد أمر الله تعالى بطاعة ولاة الأمر فقال: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } فجعل طاعة أولي الأمر تابعة لطاعته وطاعة رسوله ﷺ، فطاعة الله وطاعة رسوله أصلان عظيمان وطاعة الرسول من طاعة الله (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله)، وأما طاعة أولي الأمر، وهذا يشمل الأمراء والعلماء فإنها تابعة لطاعة الله ورسوله فهذا قال: (فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فلا شك أن أحق من يدعى له من ولي ولاية عامة وهم العلماء الذين يصدر عنهم، والأمراء الذين بسط الله تعالى لهم في الأرض فتجربى أحكامهم وأوامرهم على الناس جميعا، فهم حريون أن يدعى لهم بالتسديد والتوفيق، فلأجل ذا عقد المصنف هذا الباب في أن من أطاع العلماء والأمراء تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا، إذا المصنف - رحمه الله - يشير إلى نوعين أو إلى نوع من العلماء ونوع من الأمراء تركوا الشرع أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، وأن طاعة هؤلاء في هذا الذي فعلوه من اتخاذهم أربابا من دون الله

◆ فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

أنه لما كانت الطاعة عبادة لم يجوز صرفها لغير الله، لما كانت الطاعة عبادة معلومة مشهورة لم يجوز صرفها لغير الله فوجب توحيد الله بالطاعة فلا يتقرب العبد لغير الله - عز وجل - بالطاعة في ما هو من حق الله - عز وجل - ومن أعظم حق الله في الطاعة طاعته في التحليل والتحريم إذ أن هذا هو خالص حقه

قال الله - عز وجل - : { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } فحق التشريع حق الله - عز وجل - ليس للأمراء ولا للعلماء أن يشرعوا دون الله بل الله - عز وجل - هو الذي يأمر، وينهى، ويحل، ويحرم، ووظيفة العلماء أن يبينوا ذلك للناس ووظيفة الأمراء أن يحملوهم عليه هكذا جرى السنن، وهكذا سارت الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا فمن عكس الطريقة وصوغ لنفسه أن يحل ما حرم الله وأن يحرم ما أحل الله فإن هذا منازعة لله في حقه، ومن أطاعه في ذلك فقد اتخذ ربا؛ لما سيأتي من الآيات

◆ وقال ابن عباس: وهو عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء"

ما معنى "يوشك"؟: أي يقرب ويدنو أن تنزل عليكم حجارة من السماء يعني أن تحصبون بالحجارة لما؟

أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر: يعني أن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنكر إنكارا بليغا على من حوله ممن يستدل عليهم بقول رسول الله ﷺ فيقابلونه بقول أبي بكر وعمر، فقال يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أن بلغت هذا المبلغ تسمعون كلام النبي ﷺ وتقابلونه بكلام أبي بكر وعمر فكيف من قبله بكلام من هو دونها

هذا الأثر قد رواه بالفاظ متقاربة: الإمام أحمد، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وابن حزم واحتج بهذا اللفظ ابن القيم في إعلام الموقعين،

ولهذا الأثر قصة: وهو أن عروة ابن الزبير - رضي الله عنه - وعن أبيه قال لابن عباس ألا تتقي الله ترخص في المتعة ألا تتقي الله ترخص في المتعة، تعلمون أن النبي ﷺ لما حج حجة الوداع أمر أصحابه بالتمتع وأن يفسخوا حجهم إلى عمرة ثم يجرموا بالحج في اليوم الثامن، وقال ﷺ متأسفا على فوات الخير لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولا أحللت معكم أو ولجعتها متعة، لكن ما منع النبي ﷺ من جعلها متعة إلا أنه ساق الهدى، ومن ساق الهدى لا يمكنه أن يحل حتى يبلغ الهدى محله، ومتى يبلغ الهدى محله؟ يوم النحر فلم يكن في وسع النبي ﷺ أن يتمتع، ولذلك حج قارنا حج رسول الله ﷺ قارنا، ولكنه أراد أن يحمل أصحابه الذين لم يسوقوا الهدى أن يجعلوا إحرامهم بالحج مفردين أن يقلبوه إلى عمرة ويحلوا منها الحل كله فإذا كان يوم الثامن أحرموا بالحج،

وإنما حملة على ذلك وعلى الإلزام والإلحاق والإلزام لهم ذلك العام أنه أراد أن يبطل عادة الجاهلية فقد كانوا أهل الجاهلية يرون أن الإحرام بالعمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور فاجتهد النبي ﷺ أن يجتث هذا الاعتقاد الجاهلي، وقام بنفسه ﷺ بالاعتمار في الأشهر الحرم فوقت جميع عمراته في شهر ذي القعدة، ولأجل ذلك أراد أن يفعل أصحابه ما فعل فألح عليهم بذلك،

ولكن الشيخين أبا بكر وعمر اجتهدا اجتهدا وصار في خلافة أبي بكر وعمر صاروا ينهيان الناس عن المتعة ويأمرانهم بالإفراد أتدرون لماذا؟ هذا اجتهدا منها وهو أنها خافا أن يهجر البيت لأن من أتى البيت بعمرة وحجه ربما قال في نفسه لا حاجة أن أتى بعمرة في أشهر العام فيهجر البيت، ولا تحصل العمرة في أشهر السنة فكان من اجتهداهم - رضي الله عنهما - أن أمرا الناس في الأفراد أن يحجوا مفردين حتى يحملهم ذلك على أن يأتوا بالعمرة في بقية أشهر السنة هذا اجتهداهما - رضي الله عنهما -

لكن ابن عباس رأى أن هذا الاجتهاد في مقابل النص وأن المتعة أفضل إن لم تكن أوجب فلما قال له ابن الزبير ألا تتقي الله ترخص في المتعة، قال: له ابن عباس سل أمك يا عرية، تصغيرا له يعني من باب التحقير بسبب هذه

المناقشة، قال: سل أمك يا عرية تصغير عروة، فقال: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا يعني كأنك خالفت سننهما، فقال: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحدثون عن أبي بكر وعمر هذا لفظ ابن عبد البر، انظروا هذا النكير من ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحدثون عن أبي بكر وعمر

وعن ابن عباس قال: تمتع رسول الله ﷺ فقال عروة ابن الزبير نها أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون أراهم سيهلكون أقول قال النبي ﷺ ويقول نهى أبو بكر وعمر، هذا لفظ الإمام أحمد وقد حسنه ابن مفلح، فالقصة واضحة السبب وجواب ابن عباس واضح

◆ ومناسبة هذا الأثر للباب ظاهرة:

إذ أن ابن عباس - رضي الله عنهما - رأى أن في إتباع ما ذهب إليه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وهما من صنف الأمراء في مخالفة ما أمر به النبي ﷺ أن هذا من الطاعة المحرمة هذا هو مناسبة ذكر هذا الأثر للباب وأن مثل ذلك يستوجب عقوبة

◆ فنستفيد من هذا الأثر:-

- أولاً: وجوب تقديم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد
- ونستفيد أيضاً من كلام ابن عباس أن مخالفة السنة من أسباب العقوبة أن مخالفة السنة وأقصد بالسنة هنا المعنى العام للسنة ليس السنة بمعنى المستحب وإنما السنة يعني هدى النبي ﷺ في أقواله وفي أفعاله أن ذلك من أسباب العقوبة
- ونستفيد أيضاً من التقليد لمن بلغه الدليل والتغليب عليه ذم التقليد عليه فابن عباس لم يغلب علي عروة إلا لما أخبره أن هذا هدى النبي ﷺ فاحتج بكلام أبي بكر وعمر فعظم ذلك عليه وأغلظ عليه في النكير
- ونستفيد أيضاً من هذا الأثر أنه لا عذر لمن استفتى أن ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل فإذا سئل الإنسان الذي يحسن الاجتهاد فلا عذر له أن يفتي إلا بالنظر في أقوال أهل العلم وترجيح ما دل عليه الدليل كما صنع ابن عباس - رضي الله عنهما -

ثم قال المصنف - رحمه الله - :-

◆ وقال الإمام أحمد ابن حنبل وهو الإمام المعروف (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته)

التعجب والعجب: نوعان:

- أحيانا يكون عن استحسان،

- وأحيانا يكون عن استنكار

فمن أيهما هذا؟ هذا من الاستنكار فيقول الإمام أحمد: عجبت لقوم،

عرفوا الإسناد وصحته: يعني إسناد الحديث إلى رسول الله ﷺ وثبت عندهم أنه صحيح

يذهبون إلى رأي سفيان: وسفيان ها هنا سفيان الثوري الإمام المعروف - رحمه الله -

والله تعالى يقول: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } أتدري ما الفتنة

الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)

لنتأمل في كلام الإمام أحمد:

الإمام أحمد - رحمه الله - قال قولاً ودعماً بالدليل المبني على السند المتصل الصحيح إلى رسول الله ﷺ ثم

فوجئ بأناس يذهبون إلى رأي سفيان فأبدى عجباً وقال عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي

سفيان والرأي في مقابل النص لا قيمة له، والله تعالى يقول استدل بالقرآن:

{ فليحذر الذين يخالفون عن أمره } لما لم يقل يخالفون أمره؟ لأن خالف يمكن أن تتعدى بنفسها قال أهل

العلم لأنه ضمنها معنى الإعراض ضمن هذا التضمين معروف وهو من البلاغة ضمن فعل خالف معنى أعرض

فلذلك عداه بعن لأنك تقول أعرض عن كذا فلهذا قال

{ فليحذر الذين يخالفون عن أمره } أي يعرضون عنه

{ أن تصيبهم فتنة } والفتنة هنا المحنة والعذاب والعقوبة، وقد فصلها الطبري - رحمه الله - بقوله يطبع على

قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه، يعني كأن الطبري - رحمه الله - قال أنه لا يؤمن عليه إذا رد

قول الشارع أن يتهدى به الأمر فيقع في كفر ثم يظهر على فلتات لسانه ثم يقتل ردة { أن تصيبهم فتنة،

أو يصيبهم عذاب أليم } والعذاب الأليم يكون في الآخرة، ثم قال الإمام أحمد:

أتدري ما الفتنة الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض: قوله يعني إذا رد بعض قول النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من

الزيغ والزيغ هو الميل عن الحق فيهلك

◆ هذا الأثر عن الإمام أحمد - رحمه الله - ينطبق على جزء الترجمة:

لأن الترجمة باب من أطاع العلماء والأمرأ فيصدق في حق أبي بكر وعمر الأمرأ ويصدق في حق سفيان

العلماء، وليس معنى ذلك أن من صدر منه هذا الأمر المخالف للدليل أنه صدر منه عن خطأ مقصود لا. فإن أبي

بكر وعمر - رضي الله عنهما - من هما في الإمامة في الدين لكنهما ليسا معصومين وقد اجتهدا اجتهادا ربما كان الأرجح خلافه وربما صدر منهما بحكم الأمانة والولاية من باب السياسة الشرعية فعلا ما فعلا من حمل الناس أو من أمر الناس بالافراد،

وسفيان - رحمه الله - إمام مشهور فهو إذا رأى رأيا فإنما يكون رآه بسبب أنه لم يبلغه الدليل الصحيح لكن هذا ليس عذرا لمن بلغه الدليل الصحيح في أن يأخذ قول سفيان أو غير سفيان والمقصود أن هذين الأثرين عن ابن عباس وعن الإمام أحمد ليس فيهما تنقضا للمذكورين فانه صدر ذلك عنهم عن اجتهادا ونية صالحة فمناسبة لها الأثر عن الإمام أحمد للباب ظاهرة: وأن تقليد العلماء وأنه لا يجوز تقليد العلماء وترك العمل بالسنة الصحيحة

◆ ونستفيد منه :-

- تحريم التقليد على من بلغه الدليل

- ونستفيد ثانيا جواز التقليد لمن لا يعرف الدليل صح لأن الإمام أحمد إنما عجب من حال من عرف الإسناد وصحته فدل ذلك على أن من لم يعرف الإسناد وصحته وأخذ برأي إمام معتبر فلا تثريب عليه، فإذا العامي معذور إذا تبع إماما في فتيا وهو لا يحسن المراجعة بين الأدلة، أما من عنده أداة الاجتهاد والنظر في الأدلة فعليه أن يتبع ما يرى في قلبه أنه الحق.

- أيضا نستفيد من هذا الأثر الرد على من قال لا إنكار في مسائل الخلاف بعض الناس يطلق هذه الجملة على عواهنها ويقول لا إنكار في مسائل الخلاف خلاف العلماء رحمة تخير ما شئت الجملة الصحيحة أن نقول لا إنكار على المجتهد أما أن يقال لا إنكار في مسائل الخلاف فليس صوابا لأنه إذا قيل لا إنكار في مسائل الخلاف فما من مسألة فرعية إلا وفيها خلاف فكأننا بذلك نوصد باب الترجيح ومعرفة الحق بدليله كأننا يقال لكل أحد اعلم ما شئت وتخير من الفتاوى ما شئت لكن يقال لا إنكار على المجتهد، يعني بمعنى أن الإنسان إذا اجتهد بأدوات الاجتهاد المعروفة وأداه اجتهاده إلى نتيجة معينة فإننا لا ننكر عليه لأنه قصد إصابة الحق وطاعة الخالق سبحانه فنحمله على اجتهاده ولو كان مخالفا لاجتهاده،

وينبغي أن تعلموا - يا رعاكم الله - أن الأئمة الكبار المتبوعين لم يزالوا يعظمون شأن الإتياع ويأمرون تلاميذهم والناس جميعا بإتياع الدليل وعدم التعصب، ولأسرد عليكم بعض النصوص المنقولة عنهم

فالإمام الشافعي - رحمه الله - يقول:-

((أجمع العلماء على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد)) شوف أجمع

العلماء على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد

وقال الإمام مالك - رحمه الله - :-

((ما منا إلا راد أو مردود عليه إلا صاحب هذا القبر)) لأنه كان يقول ذلك في مسجد رسول الله ﷺ فيشير

إلى قبره ما منا إلا راد أو مردود عليه لأننا نجتهد بشر ما منا إلا راد أو مردود عليه لكن العصمة لمن لصاحب هذا

القبر ﷺ

وقال أبو حنيفة - رحمه الله - :-

((إذا جاء الحديث عن رسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم فعلى الرأس

والعين، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال)) يعني لسنا ملزمين بما أدى إليه اجتهادهم أما الصحابة

فلا شك أن لقولهم مزية لكونهم شهدوا التنزيل وصحبوا النبي ﷺ

ومن قول الشافعي أيضا - رحمه الله - :-

((إذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط)) - رحمهم الله رحمة واسعة -

هذا دليل صدقهم وإخلاصهم وإنهم ما كانوا يريدون الاستكثار من الإتيان بل إن محبة إمام المذهب ألا توافقه

فيما خاف فيه الراجح أن كنت متبعا لإمام من الأئمة وتبين لك الحق في قول غير إمامك فمن محبته والنصح له ألا

تتابعه على قول مرجوح بل اجعل إمامك محمد ابن عبد الله ﷺ

هذا المعنى ينبغي - أيها الإخوان - أن يرسخ في القلب والنفوس، وأن نعلم مقتضى شهادة أن محمد رسول الله

تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نها وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع على لسانه،

وهذا لا يحملنا على الزهد في العلماء والفقهاء:

كما وقع من بعض السفهاء، بعض السفهاء لشدة حملته على التعصب والجمود ينتقل إلى الطرف المقابل يعني

يذم التعصب والجمود فيحمله ذلك على النيل من أئمة المذاهب، والطعن في المذاهب وكتب المذاهب، وهذا باطل

غير صحيح

العلماء - رحمهم الله - اجتهدوا في تقريب العلم ووضعوا متونا مختصرة مما رأوا أنه أدى إليه الدليل وهم في

هذا مجتهدون رحمهم الله فوضعوا هذه المختصرات في كل مذهب،

وبناء عليه فلا ينافي الإتيان للنبي ﷺ أن يتفقه الإنسان على مذهب معتبر فعلى طالب العلم أن يتفقه على

أصول المذهب السائد في محله ومنطقته،

فإذا كان مثلاً في البلاد النجدية تفقه على مذهب الإمام أحمد لأنه المعمول به السائد فيها، إذا كان مثلاً في بلاد المغرب تفقه على مذهب مالك لأنه السائد المعمول به في تلك الجهات، إذا كان في بلاد الشام أو في بلاد المشرق الإسلامي يتفقه على مذهب أبي حنيفة لأنه السائد، وإذا كان في بلاد مصر أو مثلاً بعض بلاد المشرق كما ليزيا وتفقه على مذهب الشافعي فحسن،

ولكن ليس من مقتضى المذهب أو التفقه على مذهب معين أن يصم الإنسان أذنيه، ويغمض عينيه ولا ينطق إلا بما جرى به المذهب لا عليه أن يفتح عقله بحيث إذا تبين له الحق في خلاف مذهبه أن يتبعه وإلا قد وقع في التعصب المذموم الذي ذمه العلماء،

فلا يليق بطالب العلم أن يبلغه الدليل ثم تأخذه حمية أن ينصر المذهب مع بدو الدليل في خلافه، ولهذا كان الأئمة المحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره كانوا ينسبون أنفسهم إلى مذهب الإمام أحمد لكنهم يخالفون المذهب في مسائل كثيرة ولم يزل أهل العلم من المجتهدين يفعلون ذلك ينسبون أنفسهم إلى المذهب المعروفة كالإمام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - فانه يعرف نفسه بأنه على مذهب الإمام أحمد فروع وأصول ولكن هذا لا يمنعه أن يختار قولاً خلاف المذهب بد له فيه الرأي الراجح على غير ما جرى عليه الأصحاب، فعلى طالب العلم وعلى كل مؤمن أن ينعق من أسر التعصب فانه يعني يضل صاحبه عن الحق ولا يقول

يعني مثلاً قال: أحدهم - والعياذ بالله - يقول هكذا كل قول تأملوا انظروا كيف ينتج التعصب يقول كل قول يخالف ما قاله الأصحاب فهو إما منسوخ أو مؤول - سبحان الله - يقول كل قول يخالف ما قاله الأصحاب لا قال كل نص يخالف ما قاله الأصحاب فهو إما منسوخ أو مؤول، إذا صارت مرجعته من للنص النبوي المعصوم ولا للأصحاب هذا ينقض شهادة أن محمد رسول الله لأن صار الآن كلام الأصحاب هو الذي يحكم على كلام محمد ﷺ، وبالتالي فإن هذا النص الثابت عن النبي ﷺ أحد أمرين ما دام أنه قد خالف ما قاله الأصحاب فإما أنه منسوخ في شيء نسخه وعطله، وإما مؤول يعني له معنى يوافق ما قاله الأصحاب هذا مذموم لا يجوز هذا مناقض للإتباع،

فعلى المؤمن أن يخرج من هذا الآصار وينعق وكما أنه يوحد الله بالعبادة، ويحصل توحيد رب العالمين فيوحد بالإتباع ويتبع سيد المرسلين سواء بسواء، والتعصب كما قلت لكم داء دفين، داء مقيت حتى أنه وقع من جراء التعصب المذهبي في الأمة الإسلامية ما يعني يحزن له الإنسان كان المتعصب بلغ بهم الأمر إلى أن يقول قائلهم يجوز للحنفي أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يجوز له أن يتزوج شافعية إلى هذا الحد ما هذا هذا! لا يصدر إلا من التعصب المقيت فلا يجوز أن يفعل هذا،

* ويقال إن اثنين تنازعا في مسألة تحريك الإصبع في الصلاة وكان أحدهما يرى التحريك والآخر لا يرى التحريك ثم قاما فصليا فكان أحدهما يحرك إصبعه فلما انفلتا من الصلاة وسلم الإمام قام الآخر وكسر إصبع صاحبه عيادا بالله ما هذا! هل هذا يريد الحق هل هذا يريد رضا الله - عز وجل - أو أنه ينفث ما يقع في نفسه من غيظ لا هذا ليس تعبد الله - عز وجل -،

وبناء عليه فإن على طالب العلم أن يجتهد في بيان الحق في مسائل الخلاف فإن قبل منه فذاك، وإن لم يقبل منه فليحسن الظن بمخالفه ويعتقد أنه هذا ما أدى إليه اجتهاده هذا إذا كان المخالف عنده أسوة من علم وأثارة من علم.

أما إذا كان لا يعتمد على شيء كما يقع من بعض السفهاء يعني بعض الناس - عافانا الله وإياكم - يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير تجده يعني في المجلس يتكلم في كبير الأمور فإذا قيل له لكن قول رسول الله ﷺ كذا وكذا أشاح بوجهه وقال ولو ما هذا هل يقابل كلام الله وكلام رسوله بقول ولو، ولو هذا رد لكلام الله ورسوله كما قال الإمام أحمد لعله إذا رد بعض قوله يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك،

وقد كان السلف ينكرون أشد النكير على بعضهم حين سمع حديثا أن النبي ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع قال والله لا يكفيني فأغلظ عليه وقال له قد كفا من هو أعظم منك فضلا وأوفر شعرا، ومنهم من هجر من رد شيئا من كلام النبي ﷺ بعجالة فهجره بسبب مقاله مثل وللأسف في هذه الأزمنة نرى من يملأ أعمدة الصحف في الطعن في كلام النبي ﷺ ويرد ذلك في الله المشتكى،

وهذا مما أخبر النبي ﷺ أنه مما يكون في آخر الزمان أن تنطق الروبيضة فقيل من الروبيضة قال التافه يتكلم في أمر العامة، وبالفعل صرنا نرى الرجل التافه يتكلم الذي لا علم عنده يتكلم في الأمور العامة ذات الأثر العام التي لا ينبغي لا يذكر منها إلا من مرجعية علمية معتبرة في الله المشتكى

◆ ثم قال: (عن عدي ابن حاتم أنه سمع النبي ﷺ)

أما عدي: فهو أحد أصحاب النبي ﷺ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم يضرب به المثل في الكرم وكان عدي قد اعتنق النصرانية وصار ركوسيا ثم فر لما مكن الله لنبيه ﷺ ثم وفقه الله بأخت عاقلة فما زالت تراسله حتى أقنعته بأن يرد على النبي ﷺ ويعتق الإسلام فدخل على النبي ﷺ وكان عليه صليبا من ذهب فإذا بالنبي ﷺ يقرأ هذه الآية { اتخذوا أحابرهم ورهبانهم أربابا من دون الله } ففرح النبي ﷺ بمقدمه، وكان جالس على وسادة فنزع الوسادة وألقاها له هكذا تكون الدعوة أيها الأخوة هكذا تمتلك القلوب في حسن الاستقبال، والبشاشة ويعني

إرادة هداية الخلق لا التشريب عليهم ولا إيقائهم بعيدين عن الحق فكان مما قال لما سمع هذا الآية { اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما
يشركون }

فقلت: قالها عدي على البديهة

إننا لسنا نعبدهم: إلا لأنه يرى أن الآية فيه وفي فئته من أهل الكتاب ظن - رضي الله عنه - أن العبادة هو أن
يخر راعها أو ساجدا للأحبار والرهبان، فقال له النبي ﷺ:

"أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلون، فقال: بلى: وهذا من الإنصاف،

قال فتلك: عبادتهم: لأنهم عبدوهم بالطاعة في أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وفي تحريم ما أحل الله هذا
الحديث - أيها الأخوة -:

رواه: ابن جرير، والبيهقي، والطبراني، وابن سعد، وابن مردويه، وحسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان،
وبعضهم نقل تحسين الترمذي لكن الصحيح أن عبارة الترمذي أنه قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث
عبد السلام ابن حرب وعطيف ابن أعين ليس بمعروف في الحديث هذا هو الذي ذكره الترمذي - رحمه الله -
فلعل التحسين المنسوب إلى الترمذي وقع في بعض النسخ وعموما فإن هذا الحديث له طرق يقوى بعضها
بعضا وحسبك بتحسين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

النصارى - أيها الإخوان - واليهود يعبتون بالشرية فيحلون ما حرم الله ويجرمون ما أحل الله، أما اليهود
فوقائعهم في هذا كثيرة لكن أسلوبهم أسلوب الحيال

فاليهود إذا أرادوا أن يحيلوا أو يجرموا تحايلوا على شرع الله لم يغيروا اللفظ نصا لكن يتحايلون عليه بأنواع الحيل
ومن ذلك:

- ما أخبر عنه النبي ﷺ أن الله لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها أي أذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها والله
تعالى إذا حرم شيئا حرم ثمنه فهذه طريقة اليهود
- ومثل ذلك لما حرموا حكم الرجم وجعلوا مكانه التسويد والتحميم والتحميم والجلد،

وأما النصارى:

- فإنهم اتخذوا دينهم هزوا ولعبا فكان أن أبطلوا الناموس، الناموس أي شريعة موسى حينما دخل في دينهم رجل يقال له بولس يسمونه القديس بولس فزعم أن من آمن بالمسيح إله مخلصا فانه يتربى يعني يصبح بارا ويسقط عنه الناموس ولا يلزمه شريعة،
- ولم يزالوا على ذلك كلما أرادوا أن يغيروا في دينهم وشرعهم عقدوا ما يسمونه بالمجمع -المجمع المسكوني- مجمع يتنادون له ويجمعون فيه جميع أساقفة الأرض المسكونة هذا سبب تسميته المسكوني الأرض المسكونة فيجمعون جميع الأساقفة ويزعمون أن روح القدس هو الذي يهديهم، ويدلهم، ويرشدهم، وأن ما يصدر عن هذا المجمع فله العصمة هكذا معنى قول النبي ﷺ: "أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه، فقال: بلى، قال: فتلك عبادتهم"
- قول الله تعالى اتخذوا: أي جعلوا والمشار والضمير يرجع إلى قيل إلى النصارى فقط وقيل إلى اليهود والنصارى معا ولكن قوله:

{ أحبارهم ورهبانهم }: يدل على ماذا؟ يدل على شموله للطائفتين لأن الأحبار في الغالب يطلق على علماء اليهود، والرهبان يطلق على عباد النصارى

(أربا من دون الله): ما وجه اتخاذهم إياهم أربابا؟ لأنهم أعطوهم حق الحكم والحكم من خصائص الله (إن الحكم إلا لله) فهم صرفوا ذلك لغير الله فنازعوا الله تعالى في الربوبية فهذا شرك في الربوبية، ثم إن طاعتهم إياهم في ذلك شرك في العبادة فجمعوا بين المصيبتين شرك الربوبية وشرك العبادة، فأخلوا بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية

◆ إذا هذا الحديث مناسب جدا للباب

لما تضمنه من قول النبي ﷺ من قوله: (أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقال بلى) هذا مطابق جدا للترجمة

◆ نستفيد من هذا الحديث :-

- أن طاعة العلماء وغيرهم في التحليل والتحرير شرك أكبر، وعبادة لهم
- ونستفيد أيضا أن التحليل والتحرير حق لله سبحانه وبحمده
- ونستفيد أيضا أن من أنواع الشرك شرك الطاعة

- ونستفيد أيضا الرفق في تعليم الجاهل؛ فإن عدي - رضي الله عنه - لما استدرك وقال إنا لسنا نعبدكم لم يعنف عليه النبي ﷺ، ولم يقل له يعنى لما قلت كذا بل علم أنه عنده شبهة فكشفا عنه وراعى حداثة عهده وأنه مقبل على الإسلام فأجابه جوابا رفيقا ليننا

- وفيه أيضا ما يدل على أن العبادة معناها واسع وأنها لا تختص بالشعائر من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج بل معناها أوسع وإنها تشمل الطاعة عموما لقوله (فتلك عبادتهم)

- ونستفيد أيضا ذم التقليد الأعمى والتعصب

◆ ونستمع إلى مسائل الباب.....

[قراءة المتن]

فيه مسائل

- الأولى: تفسير آية النور

[الشرح]: وقد تقدم معنا هذا

[قراءة المتن]

- الثانية: تفسير آية براءة

[الشرح]: نعم هذا طيب آية براءة قول الله تعالى: { اتخذوا أحابرهم ورهبانهم أربابا من دون الله }

[قراءة المتن]

- الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي

[الشرح]: أما آية النور فهي قول الله تعالى: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره }

[قراءة المتن]

- الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي

[الشرح]: العبادة التي أنكرها عدي هي عبادة الطاعة ما كان يعلم أن الطاعة في التحليل والتحریم عبادة

فقال له النبي ﷺ دخولها في ذلك

[قراءة المتن]

- الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان

[الشرح]: نعم يعني تمثيل ابن عباس ينطبق على الأمراء، وتمثيل أحمد بسفيان ينطبق على العلماء

[قراءة المتن]

- الخامسة والأخيرة: تحول الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية، وعبادة الأحرار هي العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين

[الشرح]: نعم هذا في الحقيقة من عميق فقه الشيخ وإدراكه للواقع في زمانه أن هذا الأمر تمادى بالناس حتى وقعت عبادة الرهبان "عبادة الرهبان" أي العباد الجهال فصار كثيرا من عامة المسلمين يعظم أرباب الطرق الصوفية الخرافيين اللذين لا علم لهم ولا معرفة فيعظمونهم ويسيدونهم، وصار أيضا طائفة من المسلمين يقعون في التعصب المذهبي فيقدمون أقوال الرجال على قول الله وقول رسوله ﷺ فمثل هذه الشائبة قد وقعت في هذه الأمة وهو مصداق قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، وصلي اللهم علي نبينا محمد، آله وصحبه أجمعين؛